الأبعاد الإجتماعية لزيارة الأربعين (العمل التطوعي انموذجاً)

أ. م. د. أمل سهيل عبد الحسيني
كلية التربية المختلطة-جامعة الكوفة

م. د. جبار محمد هاشم الموسوي
كلية الاداب-جامعة الكوفة

الملخص

لقد أحدثت زيارة الأربعين المليونية انعكاسات فريدة من نوعها على الروح والنفس البشرية من كافة النواحي، لما تلهمه هذه الشعيرة المقدسة من الانجذاب الروحي لصاحب الذكرى الإمام الحسين(عليه السلام) خاصة ولصحابته الأفذاذ عامة، حتى صار الإنسان المؤمن يعيش من خلالها حالة الصفاء الروحي مع المحيط الذي يعيشه ويتعامل معه بكل حب وود إلهيين، وهذا الانعطاف الكبير انعكس بصورة ايجابية على الساحة الدولية لمذهب الشيعة الامامية، فصارت الدول الكبرى تراقب كل عام هذه الملحمة الحسينية الخالدة، وأخذت تبثها عبر الأقمار الصناعية، نظراً لأهميتها وخطورتها على الوضع العام في منطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة والعالم أجمع بصورة عامة، وقد سُجل ذلك باعترافات الساسة الدوليين عبر قنوات التواصل الاجتماعي، لا سيما مسألة العمل التطوعي التي شغلت القنوات الفضائية، فوقفت أمامه وقفة إجلال وتقدير مرّة، وخوف من اتساعه مرة أخرى، لما له من تأثير على مصالحهم في العالم الاسلامي.

ونظرا لهذه الأهمية ولوجل الدول الكبرى منه، نسلط الأضواء على ظاهرة العمل التطوعي، هذه الثقافة التي تعد دليلاً على يقظة المجتمعات البشرية وشعورها بأهمية دورها البنّاء تجاه أبنائها، إذ أن نشرها بين أفراد المجتمع يُعدُّ من الركائز الأساسية لتماسك هذا المجتمع وغرس القيم النبيلة فيه، لما لها من انعكاسات إيجابية على بناء عقيدة الأمة وآثار تربوية على القيم والأخلاق والفضائل، وهذا ما أرّقَ الدول.

Social dimensions of the Arbaeen Pilgriamge - voluntary work as example

Prof. Amal Suhail Abed al-Husseini
Faculty of Education - Kufa University

Lecturer. Jabbar Mohammed Hashim al-Moussawi
College of Literatures - University of Kufa

Abstract

The million people-Arbaeen Pilgriamge has made unique repercussions on the human spirit and soul in all aspects, due to the spiritual attraction inspired by this ritual toward the honorable Imam Hussein "pbuh" and his great companions, so the believer can live through it a state of spiritual purity with the environment and deal with it through love and compassion.

This great turn has reflected positively on the international arena of Imamate Shiites, as the major countries started to watch this immortal Husseiniah epic every year, and transmit it through their by satellites due to its importance and impact of the overall situation in the middle east region and the in the world in general.

This global attention was formally recorded based on quotes of foreign politicians through social media outlets, especially the cases related to the voluntary work, because of they have as an impact to major powers' interests in the Islamic world, which made shoot the light on these cases that considered as a sign of the awakening culture of human societies and sense of the importance of their constructive role towards their members, as spreading this culture among the members of society is one of the fundamental pillars of solidarity in society and a way to implant the noble values in it, for the positive implications they have on the construction of the nation's doctrine and its educational effects on values, ethics and virtues.

المطلب الأول: الأبعاد الإجتماعية لزيارة الأربعين:

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتميز عن باقي الأديان بشمولية قوانينه للدين والدنيا معاً، فشموليته الدنيوية تكمن في قوانينه وآرائه وسننه وشموليته الاخروية، تكمن في ما أعدَّه الله تعالى للصالحين من ثواب وعقاب وأجر عظيم للعاملين في هذه الدنيا وفق القوانين والسنن الإسلامية الصحيحة.

ولو أردنا التأكد من هذا الكلام نأخذ مثالاً على ذلك الصلاة مثلاً التي قال عنها تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت:٤٥، فهذه الصلاة تحمل في طياتها جنبتين أساسيتين، إحداهما تتعلق بعلاقة الإنسان بربه وكيفية هذه العلاقة وطريقة إقامتها، أما الأُخرى فتتعلق بآثار هذه العلاقة على الإنسان أثناء تعامله مع الآخرين من أبناء جنسه، وعليه فبقدر طاعته والتزامه بأوامر الله ونواهيه تكون هذه العبادة مقبولة. يقول السيد مير علي الحائري الطهراني في تفسير الآية أعلاه: (في الآية دلالة على أنَّ فعل الصلاة لطفٌ للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها الشرع والعقل، فإذا كان أثرها أنها تنهى عن القبيح يكون توفيقياً، وقيل: أن الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر، وذلك لأن فيها التكبير والتسبيح والقراءة والوقوف بين يدي الله وغير ذلك من صنوف العبادة، وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضده؛ لأن شبيه الشيء ينجذب إليه، فحينئذ يكون الآمر والناهي مؤدياً الى الخير وصارفاً عن الشر الذي ضده)(١)، فهي إذن تنهى عن كل قبيح يستشنعه الذوق السليم النابع من التزامه الديني، كأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق وارتكاب الفواحش مثل الزنا واللواط..... وغير ذلك. وقد حث رسول الله وآله الكرامﷺ على مجموعة من العبادات والشعائر التي تقرب العبد الى ربه زلفى، ومن تلك العبادات زيارة قبور أولياء الله من النبيين والشهداء والصالحين، وهذا ما أكدت عليه كتب الفريقين سنة وشيعة وعملت به وترجمته على أرض الواقع، فصار المسلمون يتعاهدون قبور الأنبياء والصالحين بالزيارة والدعاء في أضرحتهم لقضاء حوائجهم، فهذه أرض سوريا تضم أضرحة شتى، منها ضريح السيدة زينب بنت عليعليها السلام وضريح السيدة رقية بنت الامام الحسينعليه السلام ولكليهما منزلة عند السُّنَّة والشيعة، وكذلك مصر العربية تضم أضرحة شتى، منها مقام رأس الحسينعليه السلام ومقام السيدة زينب بنت علي ومقام السيدة نفيسةعليها السلام، كذلك في السعودية والأردن وغيرها من بقاع العالم الاسلامي، وفي كل هذا وذاك دليل على احترام المسلمين لهذه الشخصيات الاسلامية. أما في العراق فنجد إن لكل مرقد من المراقد المقدسة قصة ومبلغاً من الاحترام والتعظيم والتقديس في نفوس الشعب العراقي سُنَّة وشيعة، وكان لمرقد الامام الحسينعليه السلام وما زال وسيبقى موضع الصدارة والعلو والرفعة من قبل المسلمين في شتى بقاع العالم، يتسابقون في الوصول إليه لا سيما في زيارة الاربعين، فصارت هذه الزيارة عنواناً للوفاء

والولاء والتضحية لهذا الامام العظيم الذي ضحى بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الحق والمبادئ والقيم والاخلاق ولأجل أن يرفع كلمة التوحيد عالياً؛ لذا قيل: (إن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء)، فهذا البقاء خلد في نفوس الملايين من البشر، ليس الشيعة فقط بل جذب حتى غير المسلمين وشدَّهم إليه، فكان لهذه الشعيرة أبعادٌ جمة، منها ما هو أخلاقي، ومنه ما هو إنساني، ومنه ما هو إقتصادي، ومنه ما هو سياسي. وقد كان البعد الاجتماعي أهم تلك الأبعاد، لما له من أثر على شخصية المرء المسلم، لا سيما العمل التطوعي الذي نمّى عند الشباب القيم الايجابية، كالإيثار والصبر والتعاون وإعادة الثقة بالنفس، (فبالرغم مما نعيشه اليوم ويعيشه شبابنا معنا في مجتمع مليء بالتناقضات والازدواجية، منها مثلاً: تطرف ديني مقابل عري، زيادة فقر وفي نفس الوقت زيادة استهلاك، عدم اشباع حاجات أساسية مع زيادة ترف ومظهرية، إلا أن هناك فئات من الشباب استطاعت التغلب على تلك التناقضات وقفزت بعيداً عنها موجهة طاقتها وجهدها ووقتها الى أعمال تهدف لخدمة المجتمع وتنميته اجتماعياً واقتصادياً دون انتظار عائد مادي أو تحقيق مصلحة شخصية)(٢). ومن هذا المنطلق سوف نسلط الضوء على أهم فوائد البعد الاجتماعي لهذه الزيارة المليونية:

البعد الإجتماعي للزيارة المليونية:

١. **التقاء الناس وتعارفهم تحت مظلة الامام الحسين**عليه السلام: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣، فكان الهدف الأول لوجود الخليقة واختلاف الألوان والأشكال واختلاف الثقافات هو لأجل التعارف.

قال بعض المفسرين: (إن كلمة شعوب هي إشارة الى طوائف العجم، وأما القبائل فإشارة الى طوائف العرب)(٣)، وقد تحقق هذا الهدف السامي في المسيرات المليونية الحسينية بفضل الله علينا نحن العراقيين بصورة خاصة والعالم الآخر بصورة عامة، فبعد الظلم والجور الذي عانى منه الشعب العراقي والسجن الذي كان مفروضاً عليه من قبل الطاغية صدام حسين لعنه الله، إذ انه فرض عليه إقامة إجبارية لا يلتقي بشعوب العالم ولا يخرج إليهم، حتى الفضائيات كان محروماً منها، فلم يطّلع على ثقافات الشعوب، ولم يختلط بشعب، لكنه بعد السقوط تنفس الصعداء وخرج الى العالم وتعرف على ثقافاتها وعاداتها وتقاليدها، فمثلاً نراه يختلط بالايراني والهندي والعربي، وهذا التنوع خلق عنده ثقافات متعددة، وقد تركت لدى الشعب بصمات محمودة، فمثلاً تعلمنا من الايراني النظافة والحرص واحترام النظام واحترام قوانين البلد، ومن العربي الكرم - ولو ان كرم العراقيين كان هو الاول بشهادة موسوعة غينيتز التي اعتبرته أكرم شعب على الأرض- وما الى ذلك من العادات المحمودة التي أخذناها عن غيرنا، حصل كل هذا ونحن نفتقد الأمان على أرض هذا الوطن، فلو قُدّر للعراقيين توفر سبل الأمان والطمأنينة لكان الوضع غير ما

نحن عليه اليوم، ولوجدتَ عدمَ وجود موطيء قدم على ترابه لكثرة الزائرين، ولرأيتَ الملايين على اختلاف جنسياتهم وانتماءاتهم تتزاحم وتتدافع على العراق أرض المقدسات، أرض كربلاء، أرض الفداء والقيم والبطولات والتضحيات والاخلاق.

٢. **الوقوف صفاً واحداً أمام أعداء أهل البيت**عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ الصف:٤، وقوله تعالى هذا ينطبق اليوم على كل من يقف في خندق أعداء أهل البيتعليهم السلام، فنحن نعيش اليوم عصر الفتنة والتفرقة الطائفية، ناهيك عن المؤامرات التي يحيكها الأعداء لأجل الإيقاع بنا، فعلينا أن نكون أمامهم كالبنيان المرصوص، ليس في جبهات القتال فحسب، بل في كل مجالات الحياة المختلفة، ويكون شبابنا (أمام العدو قوياً راسخاً تتجسد فيه وحدة القلوب والأرواح والعزائم الحديدية والتصميم القوي بصورة تعكس أنهم صفٌ متراص ليس فيه صدع او تخلخل)[٤]، وهذا المصداق تحقق في زيارة الاربعين، فنجد المؤمنين بعضهم بجانب بعض، كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونسائهم يسيرون نحو الحسينعليه السلام بخطىً ثابتة، إذا رآهم العدو هابهم وخافهم؛ لأنهم كتلة واحدة لا يمكن له تفتيتها أو ثنيها عن عزمها؛ لأن حبَّ الحسين هو الذي جمعهم، فصاروا في حبّه كالبنيان المرصوص؛ لذا نرى أن الذين تعرضوا لهم بالقتل والتنكيل والملاحقة والإعدام في هذه الشعيرة بالذات -زيارة الأربعين- وعلى مر العصور ومراحل التاريخ لخير شاهد على عدائهم لأهل البيت وشيعتهم، فذاك المتوكل العباسي، وهذا صدام حسين، وهؤلاء الأرهابيون الذين يفجرون ويقتلون الى غيرها من القضايا الاجرامية التي تفتك بمحبي الإمام الحسينعليه السلام، لكن هؤلاء المجرمين الإرهابيين لم يستطيعوا ولن يستطيعوا بكل ما اوتوا من قوة أن يثنوا عزيمة ذلك العشق والتطلع الى سيد الشهداء الامام الحسينعليه السلام، بل الكل ينادي: يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً، وبهذا فهم قصموا ظهر الارهاب وكسروا شوكة المجرمين ولقنوهم دروساً لن ينساها التاريخ ولا الاجيال، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يونس: ٦٢.

يحدث هذا كله لأبناء الطائفة الواحدة، أضف إليه التلاحم والتراص الذي يحصل في هذه الشعيرة بين السُّنَّة والشيعة، والعرب والأكراد، والمسيحيين والمسلمين، وبين الصابئة والشيعة أيضاً، حتى وصل الحد أننا شاهدنا مواكب إخواننا أهل السنة، ومواكب مسيحية وكردية وصابئية وغيرها، اجتمعوا تحت راية الحسين ولأجل الحسينعليه السلام، وبهذا نكون قد تجاوزنا الفتنة الطائفية التي حاول أعداء الإسلام والانساتية أن يزرعوها بين فئات الشعب العراقي، إذ سعى وبكل ما يملك من قوة وإمكانيات لجعلها ورقة رائجة ورابحة ينال من خلالها من وحدة هذا الشعب، (وقد مارسوا استخدام هذه الورقة في أوقات كثيرة وبلاد إسلامية كثيرة، فتمكنوا من إحداث اختراقات كثيرة في الفكر والثقافة الاسلامية)[٥]، لكن زيارة الأربعين حطمت جميع أحلامهم فكانت مدعاة للوحدة بين صفوف الشعب العراقي.

٣. إبراز ظاهرة التكافل الاجتماعي بصورة جلية:

صار الإمام الحسين عليه السلام قدوة فريدة في التاريخ الاسلامي خاصة والعالمي عامة، فقد (ضرب لنا أرقاماً قياسية في كل الفضائل، ما جعل عامة المسلمين يعتزون بهذه النهضة الجبارة التي علمتهم دروساً في الأخلاق، ومؤتمراً يتفاهم فيه عامة البشر الذين رأوا فكره عليه السلام من ناحية العقيدة والشعور الحي)[٦].

ومن هذه الفضائل التي أفرزتها هذه الثورة العرمرم ظاهرة التكافل الاجتماعي أثناء زيارة الأربعين، لا سيما عند المشاة، فهؤلاء زحفوا الى الزيارة المليونية تاركين الأموال والأوطان، فاجتهد العراقيون في أن يكونوا الأهل والوطن والأموال، فقدموا لهم كل شيء بالمجان، فلم نسمع بأحد الزائرين بانه بقي بلا طعام ولا شراب ولا منام ولا الى أي شيء قد يفكر به ذلك الزائر، بل وصل الكرم والسخاء بهم أن قدموا للزائرين ما لم يعرفوه ويأكلوه من الأطعمة في بلدانهم، مما حدا بأحدهم أن قال: (إننا في مسيرة الحسين عليه السلام يوم الأربعين وقبل ذلك وبعده كنا نأكل ونشرب ونرتع بأنواع النعم والخيرات ما لم يتيسر لنا مثلها في سائر أيام وشهور السنة)[٧].

وقد جمعت الأموال من كافة أبناء الشعب من داخل العراق وخارجه وانشئت مؤسسات خدمية ترعى شؤون المؤمنين المعوزين في نفس هذه الايام من شهر صفر، وكذلك تقوم برعاية أيتام المؤمنين الذين استشهدوا في حوادث التفجيرات الإرهابية أثناء الزيارة وكذلك إرسال مرضاهم الى المستشفيات لغرض العلاج داخل العراق وخارجه، وعلى أمثال هؤلاء ينطبق مفهوم الحديث المروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي قال فيه: (أشدُّ من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)[٨].

٤. افتخار المؤمنين بإنتمائهم الحسيني:

يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٩]، فها هي (زيارة الأربعين تتجاوز حدود العراق في طريق تبلورها كأكبر مظاهرة مليونية لقطع أطول مسافة سيراً على الأقدام للتعبير عن التزام الامة الإسلامية كلها شيعة وسنة الى الإمام الحسين واهل البيت عليهم السلام مقابل من التزموا طاعة الشيطان وآل أبي سفيان)[١٠].

وسوف يظل هذا الشعور - شعور الإفتخار بالإنتماء الى الحسين - يسري بدماء محبيه الى يوم القيامة ولسان حالهم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ الاعراف: ٤٣؛ لأن مدرسة الإمام الحسين عليه السلام قامت على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قام عليه السلام بأصعب مهمة، فأداها بأبهى صورة وأرفع مستوى؛ ليكون حياً خالداً في ضمائر الناس، وحجة على الأولين والآخرين، ففخر الكل يكمن في انتمائهم

إليه، طالبين منه الشفاعة للنجاة من عذاب يوم القيامة وقضاء حوائجهم في الدنيا؛ مما حدا بهؤلاء الى القيام بهذه الأعمال التي تقرّبهم الى إمامهم كالبكاء واللطم المبرح، بل تعدى الأمر الى الضرب بالسيوف على الرؤوس بل كل عمل يعتقدون به القربة الى الله معتبرين ذلك ترجمة لحب الحسين عليه السلام.

٥. تعميق روح التضامن بين الأفراد الذين ينتمون الى طائفة معينة:

إنَّ (الدين أو العقيدة تؤدي دوراً أساسياً في تحقيق التآزر والتضامن الاجتماعي بين أبناء الطائفة الواحدة)[١١]، فشيعة العراق -وعلى مدى التاريخ- صار تضامنهم عنواناً ومضرب الأمثال للإخاء والتلاحم، بالرغم من وجود بعض الخلافات الجانبية بينهم، ومع ذلك نراهم يجتمعون في زيارة الأربعين تحت لواء سيد الشهداء عليه السلام وتحت منصته، متجاوزين كل العقبات، وكدليل على ذلك نشير الى ما حصل من خلافات في العام ١٣٤٨هـ في زيارة الأربعين بين النجفيين والكاظميين ثم بين النجفيين والكربلائيين وامتناع مواكب النجف عن الحضور في كربلاء كسيرتها الاولى، الأمر الذي أحدث شرخاً كبيراً وانشقاقاً لا يستهان به بين الاخوة المتجاورين والعتبتين المقدستين، وحدثت بينهما نفرة وجفوة، فما كان من المصلحين إلا المبادرة والتدخل لحل هذا الخلاف، فقام العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء خطيباً فيهم، واستطاع بحنكته لمّ الشمل وتجاوز الأزمة. وقد قامت مجلة العرفان بنقل هذه الحادثة في عددها الصادر في العام ١٣٥٠هـ في المجلد الثاني والعشرين[١٢]. ولو أمعنّا النظر بهذه الحادثة لوجدنا هؤلاء الإخوان قد استطاعوا تجاوز هذه الأزمة بروح الشعور بوجوب التضامن بين أفراد الطائفة الواحدة وضرورة تجاوز كل العقبات من أجل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي ضحى بكل شيء من أجل المبادئ واجتماع الكلمة.

٦. إختفاء الفوارق والحواجز الطبيعية الاجتماعية بين مختلف الفئات:

وكما إن زيارة الأربعين تعبير عن رفض الظلم والقهر والاستكبار السياسي الذي لحق بالشعب العراقي من حكوماته المتعاقبة أو الدول المستعمرة له كذلك فإن لها بعداً آخر، إذ أنها (تمثل مكسباً عظيماً على صعيد الثقافة والاجتماع والتنمية للعالم الإسلامي بنحو عام وللعراق الذي يحتضن هذه الممارسة بنحو خاص، فضلاً عن كونها رسالة عالمية تدعو لمد جسور التواصل بين الشعوب والثقافات ونشر قيم التسامح والمودة والسلام)[١٣]، وكذلك صارت مكاناً لإختفاء كل الفوارق والحواجز الطبيعية والاجتماعية، ففقراء الناس واغنياؤهم يظهرون بلباس واحد، فالكل يرتدي السواد حزناً على صاحب المصيبة، والكل يرتدي الملابس البسيطة مهما كان مستواه المعيشي، فالكل سواسية، الاغنياء والفقراء، يتبادلون المواقع من أجل خدمة الناس في المواكب، وكذلك في المسير لا تكاد تميز بين فقيرهم وغنيهم، فالكل يقصد رضا إمامه الحسين عليه السلام، وقد شاهدنا بأم أعيننا أغنياء البلد وهم يرتدون السواد ويقفون في وسط الطريق المؤدي الى كربلاء وهم يحاولون الإمساك بالزوار من أجل أن يقدموا لهم الخدمات من أكل وراحة واستحمام وغيرها، وكم لاحظنا من حملة الشهادات العليا من أساتذة وهم يعملون المساجات والعلاجات

الطبيعية للزوار المشاة طلباً للثواب دون أي ملل أو كلل أو توقف، وهذه الظاهرة تسمى في علم النفس بـ(نكران الذات)، فالكل نسي ذاته وأنكرها حباً للحسين عليه السلام، والكل يخدم تقرباً لآل الرسول صلى الله عليه وآله، وهذه الظاهرة لا نجدها على مدى العام كله وإنما في أيام الأربعينية فقط، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أنَّ الكل قد انصهر وذاب في المجتمع، بالرغم من غناه، ونسي صاحب الشهادة شهادته وانصهر وذاب في حب سيد الشهداء عليه السلام وطلباً لرضاه.

٧. **الشعور بالإخوة الإيمانية الموالية:**

يقول الامام علي عليه السلام: (رُبَّ أخٍ لكَ لم تلده أُمك)[١٤]، (يشير الإمام عليه السلام بهذه الكلمة الى الإخوة الإيمانية والإخوة التكوينية بحيث أن هذا الأخ بكل ما تعنيه، إلا أنه لم تلده الأُم)[١٥]، فأهل البيت عليهم السلام دائماً يدعون أتباعهم عبر النصائح والإرشادات الى المحافظة على العلاقات الأخوية وضرورة استمرارها، وقد جاءت بعض نصائحهم بضرورة إلزام المؤمن الجانب الإيجابي -أي مجموعة الأعمال التي يقوم بها المؤمن تجاه أخيه المؤمن يكون لها دور في بقاء الاخوة الإيمانية واستمرار العلاقة الأخوية- أما الإرشادات الأُخرى التي دعوا شيعتهم لها فتتمخض في ضرورة الإمتناع عن بعض الأعمال التي تضر تلك العلاقة (فنصح أهل البيت عليهم السلام المؤمنين بالتورع من الوقوع في هذه الامور السلبية التي تؤذي علاقة المؤمن بالمؤمن وتكدّرها، ومن خلال ذلك العمل الايجابي الذي يؤكد هذه العلاقة ويُبقي المودة بينهما، ومن خلال التورع عن الوقوع في هذه الامور المؤذية لهذه العلاقة، يمكن للانسان أن يحافظ على هذه العلاقة ويستمر فيها)[١٦]. ولكي نفعّل هذه النصائح لابد من توفير جو إيماني وعلاقات دينية بحتة، وهذه الامور كلها توفرت في زيارة الأربعين، فالسائرون الى الإمام الحسين عليه السلام يعيشون هذه الاحاسيس بأعلى صورها وأشكالها، إذ الحب والأمن والأمان والسلام وكلمات الاخوة المعبرة عن عمق القضية الإيمانية في نفوسهم، فكلّهم يجمعهم حب الحسين عليه السلام ومبادؤه فيتمثلون به ويبذلون جهودهم لأجل الإنصياع لمبادئه والمبادئ الأُخرى التي أوصى بها أهل بيت الرحمة عليهم السلام، وقد وردت عنهم عليهم السلام أحاديث كثيرة أُخرى تبين ضرورة شعور المؤمن بإخوته الإيمانية للآخرين. من ذلك ما رواه جابر الجعفي قال: تنفستُ بين يدي أبي جعفر عليه السلام ثم قلت: يا ابن رسول الله أهتم من غير مصيبة تصيبني أو أمر نزل بي حتى تعرف ذلك أهلي في وجهي ويعرفه صديقي، قال: (نعم يا جابر. قلت: وممَّ ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: وما تصنع بذلك؟، قلت: أحبُّ أنْ أعلمَه. فقال: يا جابر إن الله خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب تلك الأرواح في بلد من البلدان شيء حزنت عليه الأرواح لأنها منه)[١٧]، وقد أيد صحة هذا الحديث ما روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: (شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا)[١٨]، وأيضا ما روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: (يا علي شيعتك هم الفائزون يوم القيامة فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم وبئس المصير، يا علي أنت منّي وأنا منك روحك من روحي وطينتك من طينتي وشيعتك خلقوا من

فاضل طينتنا فمن أحبهم فقد أحبنا ومن أبغضهم فقد أبغضنا ومن عاداهم فقد عادانا ومن ودّهم فقد ودَّنا)[١٩].

المطلب الثاني: معاني العمل التطوعي في زيارة الاربعين:

توطئة:

من الركائز المهمة في بناء المجتمعات وبث روح التماسك الاجتماعي بين أفراده هو العمل التطوعي؛ كونه ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والصلاح، ليس في مجتمع من المجتمعات، بل صار شعاراً عند كل المجموعات البشرية منذ الخليقة الى يومنا هذا، لكن الاختلاف وقع في حجمه وشكله ودوافعه واتجاهاته من مجتمع الى آخر، بل من فترة الى أُخرى، فعظم وازداد في المجتمعات التي تمتلك دساتيرَ إلهية غير محرّفة ولا مزيَّفة، وقل في المجتمعات التي انحرفت عن الخط الالهي، كذلك هو قليل في مجتمعات حل فيها الأمن والاستقرار والهدوء، وازداد في مجتمعات حلَّت بها الكوارث والحروب والنكبات، وبهذا نستطيع القول: إن زيارة الأربعين قد فرضت على البلد ظروفاً استثنائية نجم عنها بروز العمل التطوعي بصورة لم يسبق لها مثيل، وهذا ما أضاف الى الزيارة عينها قدراً عظيماً من الإجلال والإكبار بسبب إسهاماتها الحضارية والانسانية الجادة.

أولاً: تعريف العمل التطوعي:

لغة: التطوع مأخوذ من الفعل(طوع)، وهو ما تبرع به الفرد من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه[٢٠].

إصطلاحاً: (وهو عمل إجتماعي إرادي غير ربحي دون مقابل أو أجر مادي يقوم به الافراد والجماعات من اجل تحقيق مصالح مشتركة أو مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة، سواء كان هذا الجهد مبذولاً بالنفس أو المال)[٢١].

اما تعريفه من منظور الامم المتحدة فقد عُرّف بأنه: (عمل غير ربحي، لا يقدَّم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة)[٢٢].

وعليه فإن مفهوم التطوع: يرادف أي نشاط أو جهد يبذله الفرد دون انتظار عائد مادي، لذلك فإن الشباب الحسيني عندما يمارس الأعمال التطوعية فهو يضحي بالوقت والجهد والمال من أجل شفاعة الإمام الحسين عليه السلام ولأجل زوار الحسين دون انتظار أي عائد مادي مباشر.

وقد اقترن مفهوم ثقافة التطوع هنا بمفهوم العمل التطوعي، لأننا إذا أردنا تعريف تلك الثقافة نشير إلى أنها (منظومة القيم والمبادئ والأخلاقيات والمعايير والرموز التي تحض على المبادرة بعمل الخير الذي يتعدى نفعه الى الغير، أما بدرء مفسدة أو بجلب منفعة تطوعاً من غير الزام ودون إكراه)[٢٣].

وقد اهتمت الدول المتقدمة بنشر ثقافة العمل التطوعي بدرجة كبيرة بين أفراد مجتمعاتها، وذلك لإدراكها أهميته في بناء الروابط الوثيقة وتعزيز الإنتماء وإثبات الذات في بناء العلاقات الاجتماعية في تلك المجتمعات، وقد وضعوا النظريات النفسية

والإجتماعية في تفسير أعمال التطوع، منها:

١. **الرؤية الفرويدية.**
٢. **نظرية التفاعل الاجتماعي.**
٣. **نظرية التعلم الاجتماعي او الرؤية المعرفية السلوكية.**
٤. **الرؤية الإريكسونية للتطوع.**
٥. **الرؤية الإنسانية لروجرد ماسلو.**
٦. **نظريات الشخصية.**
٧. **نظرية العدالة الاجتماعية**[٢٤].
٨. **نظرية التبادل الاجتماعي**: وهذه النظرية هي أهم النظريات، كونها تتناسب مع موضوع دراستنا، وهذه النظرية تقول: (إن الناس لا يقدمون على مساعدة الآخرين إلا في حالة اعتقادهم بأن الربح الذي يحصلون عليه من المساعدة المقدمة أكبر من التكلفة المبذولة، فالنظرية المذكورة لا تعتقد بوجود إيثار حقيقي يصدر عن شخص ما على حساب مصلحته الشخصية، فمساعدة الآخرين تأتي -فقط- في حالة توقعهم الحصول على نفع أكبر من الجهد المبذول)[٢٥].

وفي معرض الرد على أصحاب هذه النظرية نقول: إذا كنتم تعتقدون أن وراء كل ما يقدمه الاشخاص هي مصالح شخصية فبماذا تفسرون ما يقوم به بعض الناس من تقديم حياتهم من أجل الآخرين، فما هو (الربح الذي يمكن تعويضه من الآخرين بعد أن يفقد الانسان حياته؟ وهل التثمين الذي سوف يحصل عليه من الناس ينفعه بعد موته؟ أو هو أغلى ثمن من الحياة؟)[٢٦].

إن التصور الإسلامي يؤكد على أن الإنسان جُبل على حب الخير فطرياً، وهذا ما أكد عليه قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم: ٣٠، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩، وهذه الآيات وغيرها أكبر دليل على بطلان ما ذهبوا إليه من إنكار للسلوك الإيثاري الخالص، (فسلوك هذا الجمهور العريض دليل ناصع على وجوده، فهو سلوكٌ إيثاريٌ محضٌ لا يضع في حسبانه مبادئ الربح والخسارة مطلقاً)[٢٧]، ونحن شخصياً نعرض تجربتنا مع هؤلاء الزوار الغرباء ونرحب بهم ونتعامل معهم ولا نعرفهم، أمثال الزوار الإيرانيين، فإن حجم الإنفاق المبذول من قبلنا لا ينسجم أبداً مع الربح المتوقع، حتى لو تخيلنا وجود تطلع للتبادل النفعي حسب ما تقرره النظرية، وبالتالي فنحن نأمل ونتطلع مما قدمناه ونقدمه الى الربح والجزاء الاخروي ونيل الشفاعة من الإمام الحسين عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ الانبياء: ٢٨، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء: ٨٨-٨٩.

وكل هذه النظريات -عدا الرؤية الفرويدية- تعتبر العمل التطوعي ظاهرة حضارية للنهوض بالمجتمعات والإبتعاد عن كل ما هو أناني، فهذه الأعمال تسهم في زيادة المودة والإحترام وتقوية أواصر المحبة في المجتمعات البشرية، لأن منافعه عامة وليست فردية، علماً أن هذه الأعمال التطوعية لا يمكنها أن تنجح دون تفاعل المجتمع معها

والمشاركة فيها، بل وتشجيع القائمين عليها، وهذا كله يستدعي تعميم ونشر (ثقافة العمل التطوعي) في البيئة الإجتماعية، بل المشاركة فيه. ويمكننا أن نقف على أهم أنواع المشاركة في الأعمال التطوعية فيما يأتي:

١. المشاركة المعنوية: هي عبارة عن دعم المشاريع التطوعية معنوياً من خلال الوقوف المعنوي مع المشروع الخيري، سواء بالتشجيع أو الدفاع عنه أو التعريف به في المحافل العامة.

٢. المشاركة المادية: هي عبارة عن دعم المشاريع الخيرية بالمال؛ بإعتباره يمثل أحد المقومات الداعية الى نجاح أي عمل خيري، وقد سمى القرآن الكريم هذا النوع من المشاركة بالجهاد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات: ١٥.

٣. المشاركة العضوية: هي عبارة عن كون الاشخاص أعضاء فعالين في الأعمال التطوعية عبر انتسابهم لإحدى مؤسسات الخدمة الاجتماعية، وهذا النوع من المشاركة يتطلب بذل الجهد والتضحية بالوقت وإعمال الفكر لأجل الوصول الى أعلى المراتب في خدمة المجتمع[٢٨].

٤. وبتظافر هذه الأنواع الثلاثة يكتب لأي عمل تطوعي النجاح، وفي زيارة الأربعين نجد أن هذه الألوان الثلاثة قد تظافرت واجتمعت وآتت أكلها، وهذا ما زاد هذه الشعيرة قدراً عظيماً من التقدير والاكبار، بل سبّب هذا العدد الهائل من المتطوعين دهشة العالم واستغرابه ليقف مذهولا ويتساءل: كيف تسنى لهؤلاء جميعا أن يأتوا في آن واحد دون إشارة او قرار أو موعد مسبق.

ثانياً: العمل التطوعي في الثقافة الإسلامية:

قد يتساءل البعض: هل ورد مصطلح التطوع في المصادر الإسلامية كالقرآن والسنة؟، والجواب أنه نعم قد ورد في أماكن متعددة، ففي القرآن الكريم ورد هذا المصطلح في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٥٨، فقد ورد في تفسيرها: (ان الله يشكر عباده المتطوعين للخير بأن يجازيهم خيرا)[٢٩]، وقوله تعالى: (.. فاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ....) المائدة: ٤٨، فهذه الآية الكريمة تدعو المسلمين الى (التسابق في فعل الخيرات بدل تبذير الطاقات)[٣٠].

وعليه فقد أسس القرآن الكريم لمفهوم العمل التطوعي في نفوس المسلمين؛ كونه ديناً يحمل في طياته روح الاختيار، وهذا شامل لكل العبادات والمعاملات ومساعدة الآخرين.

اما السُّنَّة النبوية وسُنَّة أهل البيت عليهم السلام فقد طفحت بما دلت عليه في موضوع التطوع، فإذا أخذنا مثلاً قول النبيﷺ: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[٣١].

وقد ورد عن الإمام الصادقؑ قوله: (المؤمنون في تبارّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائره بالسهر والحمى)

[٣٢]، وكذلك ما روي عن الامام الصادق عليه السلام عندما سأله المعلّى بن خنيس عن حق المؤمن على أخيه المؤمن، فأجابه عليه السلام بكلام طويل، من ضمنه انه قال: (وإن كانت له حاجة تبادر مبادرة إلى قضائها، ولا تكلفه أن يسألكها)[٣٣]، وأحاديث أُخرى كثيرة دعت الى ترسيخ ثقافة العمل التطوعي في المجتمع المسلم وبأساليب مختلفة، داعية الى بناء المجتمع المسلم على أسس من المحبة والأخاء والتعاطف والتواصل والتراحم ونبذ روح الفرقة والتكافل والتضامن، حتى يكون المسلمون المؤمنون جسداً واحداً، ورغم كل هذه الدعاوى إلا أن أغلب الدول العربية عزفت عن هذا المشروع الإنساني الإسلامي؛ والسبب يعود الى تخلي الحكومات العربية عن دورها الريادي في هذه المجالات.

ثالثاً: عوامل نشأة العمل التطوعي وأهدافه وسماته:

أ. متى نشأ العمل التطوعي؟

ان العمل التطوعي كان موجوداً في كل المجتمعات الإنسانية وعلى مر التاريخ البشري، فقد فُطر الإنسان على حب الخير منذ أن وطأت قدماه الأرض، وجاء الدين والشريعة ليقويا هذا الشعور عند الانسان، فقد ارتبط -أي الشعور- ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والعمل الصالح عند المجموعات البشرية منذ الأزل، وكان ولا زال -كعمل خيري- وسيلة للشعور بالاعتزاز وراحة النفس البشرية المجبولة على حب الخير، لذا صار فعالية تقوّي عند الأفراد والجماعات الرغبة بالحياة، بل يزيد الثقة بالنفس، بل بالحياة جميعها طمعاً في مستقبل واعد، حتى وصل الحد أن بعض الاطباء وصفوا لمرضاهم المصابين بالاكتئاب والضيق النفسي والملل المشاركة بالاعمال التطوعية، الغرض منها تجاوز المحن النفسية التي يعانون منها والتسامي نحو الخير الذي يمس محيط الشخص وعلاقاته، فيشعر بأهميته ودوره في تقدم المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا بدوره يعطيه أملاً جديداً بحياة سعيدة. وعلى مر الزمن يزداد العمل التطوعي في الظروف العسيرة التي تمر بها الأرض وتقل في الحالات الاعتيادية، وقد ظهر -نتيجة لذلك- شكلان من أشكال العمل التطوعي هما:

الشكل الأول: السلوك التطوعي الذي هو عبارة عن (مجموعة التصرفات التي يمارسها الفرد وتنطبق عليها شروط العمل التطوعي، ولكنها تأتي استجابة لظرف طارئ أو لموقف إنساني أو أخلاقي محدد)[٣٤]، ومثاله: عند حدوث عمل إرهابي- وما أكثر الأعمال الإرهابية في بلدنا العراق- نجد أن كل الناس الموجودين في مكان الحادث يهرعون -وبدون نداء أحد أو استنجاده- الى المشاركة في إنقاذ الجرحى وإسعافهم وتطبيبهم، ونقلهم الى أقرب مشفى، وتصرفهم هذا ونخوتهم ناتجة عن غايات إنسانية نبيلة صرفة، إما أخلاقية أو إجتماعية أو دينية، وهو بدوره لا يتوقع أية منفعة جراء ذلك العمل، وهذا دليل آخر على بطلان نظرية التبادل الاجتماعي.

الشكل الثاني: ويشمل الفعل التطوعي (الذي لا يأتي استجابة لظرف طارئ، بل يأتي نتيجة تدبّر وتفكر، مثاله الإيمان بفكرة تنظيم الاسرة وحقوق الأطفال بأسرة مستقرة وآمنة، فهذا الشكل يتطوع للحديث عن فكرته في كل مجال وكل جلسة، ولا

ينتظر إعلان محاضرة ليقول رأيه بذلك)[٣٥].

ب. ما هي أهداف العمل التطوعي؟

لكل عمل في هذه الدنيا أهداف بقدر ذلك العمل، فأصحاب الإعمال العظيمة تكون أهدافهم نبيلة عظيمة وسامية، بينما أصحاب الاعمال الوضيعة تكون أهدافهم وضيعة ودنيئة، يطمعون من خلالها للوصول الى مآرب دنيوية لا قيمة لها. أما العمل التطوعي فهو من الأعمال النبيلة التي يكون هدفها إسعاد الآخرين وإدخال السرور في قلوبهم، وإن من يقوم بها فإنه يضحي بوقته وماله وراحته طائعاً غير مكره، وبهذا يسمو عمله وتسمو أهدافه. أما أهم أهدافه فهي:

١. تنمية روح الإنتماء لدى أفراد المجتمع، لا سيما شريحة الشباب منهم، إذ يشعرون بنشوة الإنتماء والولاء لأفراد جنسهم من خلال المشاركة الفعلية معهم في أفراحهم وأتراحهم.
٢. إثارة الحوافز الإيجابية لدى المتطوعين، إذ أن المتطوع -وأثناء تأدية عمله التطوعي- سوف يعتاد على رفع مستوى الاداء والسرعة والانجاز، وهذا ما سيؤدي الى زيادة معدل إنتاجية عمله في المستقبل.
٣. العمل التطوعي يعد مجالاً خصباً لممارسة حرية الاختيار، فالشخص الذي يقوم بالعمل التطوعي الذي يتناسب مع ميوله وأهوائه يكون مختاراً وليس مجبوراً على الاختيار.
٤. تنظيم أوقات الفراغ: إن وجود أوقات الفراغ في حياتنا يعد أمراً قاتلاً قد يتطور مستقبلاً ليشكل عقدة نفسية أو مرضا لا سمح الله، لكن العمل التطوعي سوف يعوّد الانسان على ملء فراغه بما هو مفيد ونافع، ليس له فحسب، بل لصالح المجتمع الذي ينتمي إليه، وبهذا سوف يصبح لديه فضاءً رحباً، ليمارس -هذا الإنسان- ولاءه وانتماءه لوطنه.
٥. من خلال الأعمال التطوعية يكتسب الانسان صحبة اجتماعية، ليزيد رصيده من الاصدقاء والمعارف الذين سيأخذ منهم ويأخذون منه.
٦. يستطيع الانسان بواسطته التغلب على الأنا وتجنب القضايا الشخصية غير المرغوب بها عن الذات.
٧. تعزيز الذات: إذ أن المتطوع يقدم على تقدير ذاته والتعرف على مقدراته ومواهبه التي تعزز ثقته بنفسه الى الدرجة التي قد يبدع في عمله الذي وكل إليه أو يكون متميزاً فيه.
٨. الحصول على الخبرات أو التعرف على صنعة اخرى قد يمارسها مستقبلاً تساعده على الالتحاق بسوق العمل من خلال تطوير سيرته الذاتية.
٩. سوف يسعى المتطوع الى بناء فهم افضل عن العالم الذي يعيش فيه؛ وذلك من خلال اختلاطه بنماذج واناس من غير بلده، وهذا الهدف وارد جداً في الزيارة الأربعينية، فقد تعرفنا على أخلاق وعادات وتقاليد الشعوب من خلال هذه الزيارة المباركة، واكتسبنا خبرات لم نكن نعرفها من قبل.
١٠. أهداف أُخروية: وهذه الاهداف تعتمد على اعتقاد الانسان، فهناك من يمتلك الدين، وهو ممن يؤمن بالله وبالثواب الاخروي، بينما نجد من لا دين له لا يؤمن بذلك، فهذا هدفه إنساني

بحت، لأن النفس البشرية مجبولة على حب الخير ومزودة بمعرفته فطرياً.

هـذه أهـم الأهـداف التي يسعى الى تحقيقها المشاركون في الأعمال التطوعية، مع أنهم قد تكون لهم أهداف اخرى – قد تكون شخصية بحتة– ونحن غفلنا عنها.

ومع كل هذا السمو وهذه الرفعة اللتين يهدف اليهما العمل التطوعي، لكننا لم نجد في بلانا – وللاسف الشديد – من يقوم بهذه الاعمال التطوعية، عـدا ما يحـدث في زيـارة الأربـعين، إذ يفترض بنا –كمسلمين– القيام بها مثلما كان المسلمون في القرون الاولى أسبق الناس للأعمال الخيرية والتطوعية، بل لم نكتف بهذا فقمنا بالتشنيع والتشكيك بمن يقومون بها وزرع روح الاحباط واليأس في المحيط الاجتماعي، وهذا ما سيسهم في تاخير مسيرة هذه الاعمال التطوعية.

ج. ما هي سمات العمل التطوعي؟

يتميز العمل التطوعي عن باقي الاعمال بأن له سمات نبيلة يمكن الوقوف على أهمها:

١. الغائية: فالمتطوع يسعى الى تحقيق غاية جليلة.
٢. الإيثار: المتطوع يؤثر الآخرين على نفسه دائماً، فنراه يضحي بوقته وجهده وماله وأحيانا بخبرته دون أن ينتظر عائداً مادياً يوازي حجم التضحية المبذولة.
٣. الطوعية: فهو عمل قائم على الفعل الارادي الحر للفرد.
٤. الاستقلالية: بما أن الفرد يعمل بعيداً عن تدخل الدولة او المؤسسات الاخرى غير الحكومية، فعمله هذا يتمتع بالاستقلالية بحيث يصبح قادراً على تنظيم شؤونه بمفرده.
٥. الالتزام الاخلاقي والسلوكي: العمل التطوعي التزام أخلاقي من الفرد تجاه مجتمعه أو المجموعة البشرية التي ينتمي اليها وبأعلى الدرجات[٣٦].

د. انعكاسات العمل التطوعي:

للعمل التطوعي انعكاسات جليلة لا تقل أهمية عن انعكاسات العمل الرسمي، لا سيما في الدول المتقدمة، ويترتب على اسهامات المتطوعين مكاسب:

أولاً: مكاسب اقتصادية:

للعمل التطوعي مكاسب اقتصادية لصالح البلدان التي يوجد فيها هكذا نوع من الاعمال، إذ أن هؤلاء المتطوعين لا يتقاضون أجوراً على ما يقدمونه، رغم أن ما يقدمونه جليل ويستحق التبجيل، فهم يقومون بأعمال تطوعية، كمساعدة العجزة وكبار السن، وكذلك تقديم المحاضرات والإشراف على الدراسات العليا في الجامعات العالمية المشهورة، وهذا كله تطوعاً دون مقابل، فَلَكَ أن تتصور لو أن هؤلاء يتقاضون اجوراً على ذلك فكم ستكلف الدولة من أموال؟ لا سيما وان أعدادهم بالآلاف، وهذا الشعور نابع من شعورهم بالمواطنة، وغرضهم ان تتقدم بلدانهم، وهذا الشعور للاسف الشديد يفتقر اليه العراقيون –باستثناء زيـارة الاربعين– فالكل قد نسي تاريخ ومجد امته، ونسي ماضي الامة كيف كانت وكيف أصبحت اليوم، وإذا كنا قد نسينا مجد امتنا فلنا في الشعب الالماني اسوة حسنة كما يقول مالك بن نبي الذي ذكّر الامة بماضيها التليد في هذا

المجال، وكيف أن عليها أنْ تستغل الوقت والزمن؛ لانه اذا ذهب لا يعود، فيتحدث عن الزمن واصفاً إياه بأنه (نهر صامت، حتى أننا ننساه أحياناً وننسى الحضارات في ساعات الغفلة او نشوة الحظ وقيمته التي لا تعوض[٣٧]، ثم لينعى على الامة عدم اهتمامها بالوقت قياساً للشعوب المتحضرة فيقول:(وحظّ الشعب العربي الاسلامي من الساعات كحظ أي شعب متحضر، ولكن..... عنما يدق الناقوس منادياً الرجال والنساء والاطفال الى مجالات العمل في البلاد المتحضرة..... اين يذهب الشعب الاسلامي؟ تلك هي المسالة المؤلمة....فنحن في العالم الاسلامي نعرف شيئاً يسمى (الوقت) ولكنه الوقت الذي ينتهي الى عدم؛ لأننا لا ندرك معناه ولا تجزئته الفنية؛ لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة او دقيقة، ولسنا نعرف الى الآن فكرة الزمن)[٣٨].

وأخيراً ينقل لنا تجربة الشعب الالماني الذي اعاد بناء دولته بعد الحرب العالمية الثانية، تلك الحرب التي خلّفت وراءها المانيا عام ١٩٤٥ قاعاً صفصفاً، استطاع شعبها وخلال مدة وجيزة أنْ يعيد بناء دولته بأعمال تطوعية،(فقد فرضت الحكومة عام ١٩٤٨ على الشعب الالماني، نساءً وأطفالاً ورجالاً التطوع ساعتين يومياً، يؤديها كل فرد على عمله اليومي وبالمجان؛ من أجل الصالح العام فقط.... وقد عادت الحياة الاجتماعية والاقتصادية لشعب لم يبق لديه من الوسائل إثر الحرب الثانية الا العناصر الثلاثة: الانسان والتراب والزمن)[٣٩].

وعليه فإن استيحاء أمثال تلك التجارب الانسانية الناجحة سوف يبعث الحياة في شعوبنا الاسلامية؛ لأجل تنمية السلوك التطوعي لديهم، وبهذا يكون للعمل التطوعي اليد الطولى في حل المشكلات الاقتصادية.

ثانياً: مكاسب اجتماعية:

واذا نظرنا الى المكاسب الاجتماعية التي تحققها الاعمال التطوعية، نجدها تفوق المكاسب المادية؛ لأنها تسهم في تعزيز الشعوب بالمسؤولية الاجتماعية وتنبذ السلوك اللا ابالي أو ما يدعى بالاغتراب داخل الوطن، فنجده يحقق المكاسب التالية:

أ. إشاعة روح التعاون والتعاطف بين أفراد المجتمع.

ب. تنمية الشعور بالآخر (الغيرة أو ما يسمى «الايثار»).

ج. الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع الذي ينتمي اليه.

د. إشغال أوقات الفراغ بما لا يدع مجالاً للأشخاص بالتفكير بالمشاكل الاخرى؛ لأن الدراسات أثبتت ان الانسان العاطل سوف يكون لديه استعداد للمشاكل الاسرية، مثل الطلاق والعنف الاسري وازدراء الآخرين، وفي حياتنا أمثلة كثيرة على ذلك، فنجد في محيطاتنا العائلية نماذج لرجال عاطلين عن العمل تسببوا بمشاكل مع أسرهم جميعاً.

وفي مجتمعاتنا العربية والاسلامية لا يوجد اهتمام من قبل الدولة بهؤلاء العاطلين، بينما في الدول الغربية يختلف الامر تماماً، فهذه الدول لديها مشاريع متعددة تستقطب هؤلاء بغية إسهامهم في العمل تحقيقاً لمصلحتهم ومصلحة الدولة، وتسمى هذه المشاريع بـ (إعادة الادماج)، إذ أن هذه الدول تنفق

أموالاً طائلة على تلكم المشاريع والبرامج؛ كونها تسهم في تخليص مجتمعاتهم من المشاكل.

ثالثاً: مكاسب صحية:

إن أكثر الامراض التي تصيب الناس العاطلين عن العمل سببها الحالة النفسية التي يمرون بها، فالعمل التطوعي -بما فيه من حركات- يكون سبباً لتوفر الصحة الجسمية، كون العمل أحد مصاديق الحركة ومؤشر قوي على إيجاد الحيوية والنشاط؛ لأن جسم الانسان فيه طاقات كثيرة فائضة لا يمكن التخلص منها الا بالعمل، أضف الى ان التخلص من الاملاح الزائدة والسكريات المضرة للجسم لا يكون إلا بالحركة بغية تجنب الاصابة بأمراض كثيرة، منها: انسداد الأوعية وتصلب الشرايين، وتعطل بعض الغدد الهامة عن أداء وظيفتها بصورة صحيحة.

أما تأثير العمل على النشاطات الذهنية فحدّث ولا حرج، فالتفكير الذي يصاحب العمل له تأثير على محافظة الدماغ على حيويته؛ كون الدماغ عضلة قابلة للاصابة بالخمول نتيجة عدم استخدامها، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد.....)[٤٠]، أما تأثير العمل على نفسية الانسان فهذا ايضاً مما اثير في موضوع العمل التطوعي، إذ أن العمل يمنح الثقة بالنفس من خلال اتقان صنعة ما أو من خلال التواصل الاجتماعي مع الآخرين، فصار العمل التطوعي أحد الأسباب التي من خلالها يمكن القضاء على الشعور بالوحدة والكآبة والخوف من المستقبل، وغيرها من الأمراض النفسية الاجتماعية.

رابعاً: زيارة الأربعين والعمل التطوعي:

قال الامام الحسن العسكري عليه السلام: (علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٤١]، وهذا الحديث له مداليل كثيرة أهمها: أنَّ مَنْ زار الامام الحسين عليه السلام يوم الاربعين عُدَّ من المؤمنين، لما لهذه الزيارة من أثر رئيس في بناء المجتمع الموالي لأهل البيت عليهم السلام، فهي عبارة عن تجمع حاشد لملايين من المعزين تطرح نفسها كعقل اجتماعي لا يمكن تجاوزه، فهي (تحمل آلاف الرسائل والدعوات الموجهة الى آلاف المراكز والنواحي، ففي زمن التكنولوجيا والثورات الاعلامية المتواصلة بدت مشاهد الزيارة الأربعينية متلألئة في القنوات الفضائية التي تنقل المشاهد المؤثرة لتضع المشاهد ومن جميع أطياف المجتمع أمام تساؤل كبير وهو: ما الذي يجعل هذه الجموع المليونية تزحف بهذا الاصرار نحو قبلة الاحرار والثائرين؟، فيأتي الجواب مدوياً: إنه الحسين عليه السلام وعظمة التضحية التي قدمها)[٤٢]، وقد نالت هذه الزيارة اهتمام كل المسؤولين في انحاء المعمورة، فقد (ذكرت بعض المصادر إن مسؤول القوات المسلحة في الشرق الاوسط للإدارة الامريكية كان يراقب هذه الظاهرة الحسينية عبر الاقمار الصناعية لمدة اسبوعين أو أكثر وبشكل مباشر، وبعدها قال: أنا أعترف أنتم الشيعة أكثر تحضراً بالمقايسة مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس)[٤٣]، كذلك يقال: ان جريدة القبس الكويتية نقلت في عددها الصادر يوم ١٥/ ١٢/ ٢٠١٣ ما يلي: (شارك عدد من أعضاء وفد الفاتيكان الذي

يزور العراق في مسيرة على الأقدام أمس تتوجه من الناصرية الى كربلاء إحياءً لذكرى أربعين الامام الحسين عليه السلام وسار الوفد برئاسة المونسيور ليربيريو اندرياتا رئيس مؤسسة الحج التابعة للفاتيكان بنحو كيلو متر برفقة رجال دين مسيحيين عراقيين الى جانب الزوار الشيعة من الناصرية حيث يقيمون[٤٤]، وكل هذا وأمثاله الكثير الذي احجمنا عن ذكره؛ لَدليل على ان هذه الزيارة المليونية قد أخافت هؤلاء بزحفها المليوني وجعلتهم يبدون إعجابهم بهذه الجموع المليونية ضامرين في قلوبهم حنقهم على هذا الدين وهذا المذهب بالذات، متغافلين عن ان هذه الزيارة هي برعاية ربانية وإدارة إلهية،لأنه تعالى قال: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ابراهيم: ٣٧، واذا كنا نفخر بهذه الجموع المليونية الذاهبة الى كربلاء الحسين فلنا أنْ نفخر بهذا المشروع الجماهيري الذي لا نظير له في حقل الممارسة والتشجيع على العمل التطوعي؛ إذ أن هذا الزحف المليوني بحاجة لخدمة طعام وشراب، فمن يا ترى يوفر لهم هذا مادياً وخدمياً؟ وللجواب على هذا السؤال نقول: إن في هذا الموسم يتوفر مئات الآلاف من المتطوعين يتوزعون على عشرات الآلاف من الفرق والهيئات الميدانية او ما يصطلح عليه في ثقافة الزيارة بـ (المواكب) على كافة الطرق المؤدية الى كربلاء، ومن كافة الحدود العراقية،لا سيما الطرق التي تربط محافظات جنوب العراق بكربلاء المقدسة الذي يجب ان يسمى بـ (طريق النخوة العراقية)[٤٥]، وفي هذا الطريق لا يمكن احصاء ما يقوم به المتطوعون من نشاطات مختلفة، وقد علمنا ان هؤلاء المتطوعين أقاموا مأدبة- وتسمى سفرة: جمع سُفَر: عبارة عن طعام المسافر ما يُبسط عليه الأكل[٤٦]- على طول الطريق الرابط بين محافظة البصرة ومحافظة المثنى، وقد دخلت في موسوعة غينيتس العالمية، وكذلك أدخلت هذه الموسوعة زيارة الأربعين فيها؛ باعتبارها اكبر تجمع بشري مليوني تلقائي عفوي، لم يتدخل أحد في الدعوة لها أو ادعى تنظيمها ولا موعد مسبق لتجمعها وإنما جمعهم ويجمعهم حب الحسين عليه السلام في كل موسم ولهدف واحد هو الزيارة واعلان مظلوميته لكل العالم، وقد تجسدت هذه الزيارة بأنها (زيارة للشهامة والاخلاص والتضحية والدين ولكل فضيلة عرفها الانسان؛ لأن الفضيلة تجسدت في الحسين كأنبل ما يمكن ان تتجسد في شخص)[٤٧]، انها منهل ومغنم لكل معاني التضحية والإيثار والنبل عبر التاريخ المقدس والذكريات المقدسة لأبي الأحرار عليه السلام.

إن هؤلاء المتطوعين بذلوا جهوداً مضنية وكبيرة، ولا نبالغ أن وصفناهم بهذا الوصف الواقعي، فهؤلاء أبناء البصرة -مدينة واحدة من مدن العراق- ضربوا أروع مثال في البذل ووصفوا مواكبهم فقالوا: (إن مواكبنا كالبدو الرّحل تشد رحالها مع حركة الزائرين.... ولهم الف موكب حسيني لمسافة تتجاوز (٥٠٠) كيلو متر، وتلك خاصية تميزت بها محافظة البصرة دون غيرها)[٤٨]، وهذا المثل الرائع ليس فيه ادنى مبالغة إذا قارناه بأمثلة اخرى وقصص كثيرة يقف الفرد أمامها مبهوراً، ولابد لنا ان نسرد بعض تلك القصص النبيلة التي تكشف مدى حجم التضحية والبذل:

١. يروي صاحب موكب(حامي الشريعة) عن ما يحدث في مواكب الزائرين في البصرة- وهذا ما امتازت به المواكب البصرية بالذات- يقول:

(حينما ينتهي عمل المواكب الحسينية في جميع المحافظات المتوجهة الى كربلاء حال توقف سير الزائرين، بينما تشد مواكب البصرة رحالها وتنتقل بعد السابع من شهر صفر من البصرة وحسب حركة الزائرين الى محافظات: ذي قار والسماوة والديوانية والنجف وبابل الى اطراف كربلاء، وهذه المواكب نحو ألف موكب ينتقل بكامل عدته وعدده من الخيم والكراسي وأدوات الطبخ والمستلزمات الكهربائية والمؤونة والفرش مع الزائرين لتنصب خيامها على مسافات أبعد من مسيرهم لتستقبلهم مرة اخرى وتقدم لهم الطعام والشراب والمبيت والدواء وتهيئة أمكنة الصلاة والعبادة في جو من الممارسة الخدمية لا يوجد نظيرها في العالم، إذ يجند الآلاف انفسهم لخدمة ملايين من الناس يسيرون نحو محافظة كربلاء ليس بينهم أي معرفة سابقة الا حب الحسين والانتصار لقضيته العالمية العادلة)[٤٩].

٢. في أحد المواكب يتجمع عدد كبير من الصبية تتراوح أعمارهم بين ٨-١٤ سنة، وعند السؤال عن وجودهم قال أحدهم: (إننا مجموعة من الاقارب والاصدقاء اتفقنا على أنْ ننفذ عملاً واحداً هو تنظيف واجهة الموكب والمواكب المجاورة والشارع العام، مبيناً ان هدف الامام الحسين عليه السلام وثورته العظيمة هو الاصلاح، والنظافة تعكس تحضر الشعوب وتطورها)[٥٠].

٣. ونجد هناك مجموعة اخرى اختصت بعمل المساج والتدليك باسلوب متطور، يقول احد هؤلاء: (درَّبنا مجموعة من الخدام على عمليات التدليك والمساج للاقدام والارجل وعلى استخدام مجموعة من المراهم الخاصة بفك التشنجات ومعالجة الاوردة والشرايين ومنها زيت الزيتون والرومالجين، ونحن في خدمتنا نركز على كبار السن والاطفال والصبيان؛ كونهم يحتاجون الى خدمة خاصة لغضاضة أجسامهم وضعف أبدانهم، لان العاملين استندوا لنصائح طبية من اطباء ومعالجين مختصين)[٥١].

٤. ينقل الكاتب فرج الحطاب- الذي سار مشياً على الاقدام مع زوار الاربعينية معايشاً إياهم لاكمال رسالته الماجستير التي بعنوان «تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث» طقوس زيارة الاربعين- يقول:

عند وصولنا الى منطقة حي الكرامة في النجف الاشرف أمسك بي احد الشباب قائلاً: تفضل معي انت وجماعتك لنخدمكم هذه الليلة، وقد أشار عليَّ احد مرافقيي بأن استجيب لدعوته ففعلت، وعند وصولنا الى منزله كان بإستقبالنا والده قائلاً: (اهلاً بزوار ابي عبد الله، اهلاً بزوار الحسين) واعتذر منا قائلاً: اعـذروني لأن سخان المـاء لا يعمل بسبب انقطاع التيار الكهربائي، لكننا سنسخن الماء لكم بواسطة طباخ الغاز كي تستحموا، ثم طلب منا ان نخلع جواربنا كي يغسلها بنفسه؛ معللاً ذلك (بأنه سيزداد شرفاً بغسل جوارب زوار الحسين عليه السلام وان عمله هذا لا يساوي شيئاً امام الأقدام التي ستواصل مشيها المبارك لتزور قبر الحسين عليه السلام، ثم قدموا لنا

العشاء والشاي والسكائر) وقد نقل الكاتب هذه القصة مطولة لكننا اختصرنا تجنباً للاطالة، والكاتب في دهشة لما يحصل في هذه المسيرة، ثم ينقل قصصاً اخرى يقف أمامها مذهولاً لم يصدّق ما شاهده معلناً ان ما حصل له لو انه روي له من قبل أحد الناس لم يصدقه؛ لانه لا يوجد شعب يقدم مثلما قدمه الشعب العراقي الغيور)[٥٢].

هذه بعض من قصص الشهامة العراقية أو طريق النخوة العراقية؛ مما حدا ببعض الاجانب التمثل بالعراقيين وانشاء المواكب الحسينية، فقد نقلت مجلة النبأ في عددها الصادر في محرم ١٤٣٢هـ: (قامت مجموعة من الصينيين العاملين في إحدى شركات التسوق في مدينة الناصرية (٣٠٠) كيلو متر جنوب كربلاء المقدسة بتقديم الخدمات للزائرين الكرام الى مرقد سيد الشهداء..... وصرح السيد ليون أحد العاملين في شركة التسوق الصينية (NEN): قررنا المشاركة مع أهالي الناصرية لخدمة زوار الحسين عليه السلام وتقديم الطعام والشراب لهم من خلال نصب موكب خاص بنا كصينيين)[٥٣]، وهذا إن دلَّ على شيء فانما يدل على ان ثورة وزيارة الامام الحسين عليه السلام قد استقطبت حتى غير المسلمين وجعلتهم يسيرون في ركبه، بالاضافة الى ان زيارة الأربعين (تمثل انتصار الشعار الصادق على رهاقة السيف الظالم، ولتخلق روح التوافق والإلتئام، فإن اجتماع مجموعة من الناس واتحادهم في عمل ما بدافع العقيدة سيولد لا محالة وشائج وثيقة بين الافراد ويعزز العلاقات الاجتماعية)[٥٤]. هؤلاء المتطوعون يمارسون (دوراً مهماً في تنظيم انفسهم من دون ان يعوّلوا كثيراً على الدور الحكومي، سواء في مجال التنظيم أو الخدمات المختلفة، وغالبا ما ينجحون في تنظيم هذه الزيارة بسبب الانضباط العالي والاستعداد الايجابي الذي يتحلى به معظم المشاركين اثناء الزيارة)[٥٥]، وقد أتاحت هذه المناسبة الفرصة للآلاف من الناس في العمل واكتساب المهارات التي استطاعوا – بعد هذه الزيارة– الإتكاء عليها في الحصول على عمل ببركة هذه الخدمة الميمونة.

على اننا لا نستطيع ان نجزم ان هذه الزيارة قد جلبت للعراق مكاسب مالية، لأن ما يصرفه العراقي انما هو بالمجان دون مقابل، وهذا وان كان يشكل حركة اقتصادية، اذ بواسطتها يتحرك السوق العراقي بل اسواق الدول المجاورة، لكنه بالنسبة لأهل العراق لا يعني شيئاً ما دام الكل يعمل بالمجان والكل يقدم ما يعمله بدون مقابل، الا اذا استثنينا ما تحصل عليه الدولة العراقية من مكاسب من مجموعة تأشيرات الدخول التي يحصل عليها الزوار الاجانب اضافة الى العملات النقدية التي تدخل الى السوق العراقي.

خامساً: مقارنة العمل التطوعي الحسيني بالاعمال التطوعية الاخرى لغير الحسين:

اننا اذا ما حاولنا تتبع هذا الموضوع نجد ان هناك فروقاً بين الاعمال التطوعية الحسينية وغير الحسينية، أي ما يقوم به المؤمنون أثناء زيارة الأربعين وبين غيرهم من المتطوعين. ومن تلك الفروق – التي سنقف عليها بعجالة – هي:

١. **الدوافع الذاتية:**

ان ما يقوم به المتطوع لخدمة زوار الامام الحسين

يكون عن دوافع ذاتية بحتة دون ان يكون هناك محفز خارجي، بينما نجد ما يقوم به المتطوعون في البلدان الاخرى يحصلون من ورائه على مكافآت مالية، مثل اجور النقل وبعض المصروفات التي تقدم لهم كالطعام والشراب المجاني.

٢. حرية اختيار العمل التطوعي:

تفرض بعض الدول العمل التطوعي على مواطنيها بحجة انها تشجع أفرادها على هذا العمل التطوعي، بينما نجد ان من يعمل للحسين عليه السلام يكون عمله طواعية وبدون الزام.

٣. التنافس الرسالي:

عندما يتطوع الناس في دول الغرب لإنجاح مشروع ما، يتصارع الكل من أجل انجاح مشروعه على حساب الآخرين، وهذا بدوره يسبب التوتر والكراهية بين الأفراد أنفسهم، بينما لا نجد أثرا لذلك عند المتطوعين لخدمة زوار الامام الحسين عليه السلام، فبالرغم من كثرة أصحاب المواكب الحسينية واختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم العرقية والقبلية والدينية والمذهبية والثقافية إلا أنهم جميعاً متآلفين متحابين يتنافسون على مبدأ واحد ليس فيه بغض او تحاسد، فلا صراعات ولا مشاكل بينهم.

٤. الحالة التعبوية:

ان خدام الحسين عليه السلام يزدادون عاماً بعد عام بأعداد هائلة دون أن يندرجوا ضمن مؤسسات، بينما لا نجد ذلك في المتطوعين في البلدان الأُخرى، بل قد يحصل عندهم نقص في عدد المتطوعين، وهذه المقارنة تبين عظم ما يقوم به خدام الامام الحسين الذين يستحقون وقفة اجلال وإكبار، فهؤلاء مفخرة الانسانية يستحقون إشادة دولية، ومن المؤكد أن هذا لم يحدث ولم يشجع عليه أحد من الدول؛ كون هؤلاء شيعة ينتمون الى الحسين رجل الانسانية الخالد.

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الاطلالة على الابعاد الاجتماعية لزيارة الأربعين لا بد من وقفة مع أهم ما توصلنا إليه من نتائج:

١. استطاعت زيارة الأربعين وعلى مدى وجودها من تحقيق مكاسب اجتماعية واخلاقية وسياسية واقتصادية.
٢. استطاعت هذه الزيارة أن تستقطب كل شرائح المجتمع سنة وشيعة، واستطاعت أن توحد المسلمين وغسل قلوبهم من أدران الطائفية والاحقاد الجاهلية، فهي حج آخر اجتمع فيه الناس من كل حدب وصوب.
٣. إن الأعمال التطوعية التي يقوم بها المؤمنون أيام الأربعينية انما يعبّرون من خلالها عن دعمهم وتأييدهم للخير والعدل والحق، واستنكارهم وكرههم للظلم والباطل.
٤. تعتبر شعيرة الاربعين والشعائر الحسينية الاخرى شعارات حضارية راقية إذا ما قورنت ببقية الشعائر الموجودة عند غير المسلمين، وقد أثبتت أنها أرقى الشعائر وأكثرها فاعلية وتأثيراً وثورية، ويدل على ذلك ديمومتها واستمراريتها وتوقد جذوتها، منذ استشهاد أبي الأحرار الى يومنا هذا.

٥. الاهتمام البالغ لوسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ومواكبتها لفعاليات واحداث هذه الشعيرة الكبيرة، لا سيما وسائل الاعلام الاجنبية التي ترتبط بالحكومات الغربية، من اجل متابعتها وتحليل مضامينها والحذر منها من ان تؤدي الى إحداث ثورة كبرى وهزة انسانية تؤدي الى ما لا يحمد عقباه.

٦. إن للعمل التطوعي فوائد وعائدات ايجابية على الفرد الممارس لهذا العمل خصوصاً وعلى المجتمع عموماً قد تكون مادية او معنوية يحصلون عليها بطرق عدة، أما العمل التطوعي لخدمة قضية الامام الحسين عليه السلام فان الممارسين له والمشاركين فيه لا يبغون إلا الشفاعة والرضا من إمامهم ونوال الثواب والاجر الاخروي.

٧. ان العمل التطوعي قديم قدم وطأة الانسان على وجه الارض، لكنه يختلف قوةً وضعفاً في الحالات الطبيعية التي تواجهها الدول من الكوارث والأزمات، فيزداد- العمل التطوعي- قوةً عند حلول تلك الكوارث ويقل عند وجود الامن والامان.

التوصيات:

١. ضرورة إنشاء وزارة خاصة لاقامة الشعائر الحسينية على غرار وزارة الحج والعمرة السعودية، الهدف منها التنسيق والإعداد لمراسم الشعائر الحسينية لانها تحتاج الى من يديرها ويخطط لها بما يتناسب مع حجمها وكثرة المشاركين فيها وتحديد رسومها وتكاليفها ودقة ولطف شعائرها.

٢. إعداد طريقة للمخططين والمنفذين من خطباء وقراء للمراثي والمصائب والمواعظ واللطميات وتصفية الموروث الشيعي مما ادخل فيه، ودراسة وتمحيص الروايات التي تقرأ وتتداول بين الخطباء واخراج ما هو ليس منها وادخال ما كان منها.

٣. بما ان ما تقدم يتطلب مهارة خاصة وتدريباً وفناً لذا يجب اشراك الفنيين والخبراء بهذا الجانب كون هذه الشعائر تتسم بالقداسة.

٤. ايجاد ميزانية مشتركة بين الدولة والمواطنين والتنسيق بينهما بغية عدم الاسراف والتبذير الذي نشهده في زيارة الاربعين.

٥. تثقيف الناس على هذه الشعائر تلافياً لما نرى من بعضهم من تصرفات لا تتلائم ووضع المعزين لآل الرسول صلى الله عليه وآله.

٦. اخضاع المراسيم الشكلية للعزاء للذوق الفني والقدرة الرمزية والبعد الثقافي والحضاري لمختلف الناس المقيمين لهذه المراسم.

الهوامش

(١) تفسير مقتنيات الدرر: الحائري الطهراني، ٨/ ٢٣٢.

(٢) مجلة حولية كلية البنات العدد ٨ لسنة ٢٠٠٧، بحث بعنوان(الشباب والعمل التطوعي) ص٥٥٠.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ١٦/ ٥١٥.

(٤) المصدر نفسه، ١٨/ ٢٦٢.

(٥) الخطاب السياسي والثقافي الموجه الى أنصار الحسين: محمد مهدي الآصفي، ٥٦.

(٦) مجلة الغري، العدد ١١٩ لسنة ١٩٤٣م، ص٢٩٩.
(٧) الأربعين وفلسفة المشي الى الحسين: حيدر الصمياني، ص٩٦.
(٨) بحار الأنوار: المجلسي، ٢/ ٢.
(٩) المصدر نفسه، ٩٨/ ٣٢٩.
(١٠) مجلة شعائر،العدد ٤٦، السنة الرابعة، ١٤٣٥-٢٠١٤، مقالة للشيخ حسين الكوراني، ص٦.
(١١) مجلة السبط، العدد الرابع، ١٤٣٨-٢٠١٧، ص٩٤.
(١٢) لمعرفة القصة كاملة يُراجع مجلة العرفان، العدد ٢٢، ص٤٤٣.
(١٣) زيارة الأربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ١٣-١٤.
(١٤) تصنيف غرر الحكم: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، ٤٢٤، ح٩٧٥٢.
(١٥) الاخوة الايمانية من منظور الثقلين: محمد باقر الحكيم، ١٧.
(١٦) المصدر نفسه، ٨٧.
(١٧) الكافي: الكليني، ٢/ ١٦٦.
(١٨) بحار الأنوار: المجلسي، ٥٣/ ٣٠٣.
(١٩) روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ٢٩٦.
(٢٠) لسان العرب: ابن منظور، ٨/ ٢٢٢.
(٢١) موسوعة ويكيبيديا لسنة ٢٠١٢.
(٢٢) العمل التطوعي من منظور عالمي، ابراهيم حسين، ٧٩.
(٢٣) حولية كلية البنات، بحث بعنوان:(الشباب والعمل التطوعي): د. عالية حبيب+ عبد العزيز ص٥٥٥، العدد ٨ لسنة ٢٠٠٧م.
(٢٤) للتعرف على المزيد من تلك النظريات يُراجع المجلة التربوية التي تصدر من جامعة الكويت، العدد ١١٦، بحث بعنوان(دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل التطوعي في المجتمع السعودي» دراسة ميدانية» د. محمد بن عبد الله الحازمي وآخرون، ص٣٦٧.
(٢٥) زيارة الاربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ٦٩-٧٠.
(٢٦) المصدر نفسه، ٧٠.
(٢٧) المصدرنفسه، ١٠٢.
(٢٨) يُنظر: مجلة النبأ، العدد ٧٠ لسنة ٢٠٠٤م، ص١٤٣، مقالة للشيخ عبد الله احمد يوسف بعنوان:(إنماء المشاركة في العمل التطوعي).
(٢٩) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ٣٩٥.
(٣٠) المصدر نفسه، ٤/ ٢٩.
(٣١) صحيح البخاري: البخاري، ٣/ ٩٨.
(٣٢) بحار الأنوار: المجلسي، ٧١/ ٢٣٤.
(٣٣) المصدر نفسه، ٧١/ ٢٣٤.
(٣٤) مجلة النبأ، العدد ٦٣ لسنة ١٤٢٢هـ،مقالة بعنوان:(دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع)، د. بلال عرابي، ص١٥٦.
(٣٥) المصدر نفسه، ١٥٧.
(٣٦) يُنظر: حولية كلية البنات، العدد (٨) ص٥٥٥.
(٣٧) شروط النهضة: مالك بن نبي، ٢١١.
(٣٨) المصدر نفسه، ٢١٢-٢١٣.
(٣٩) المصدر نفسه، ٢١٥-٢١٦.
(٤٠) عوالي اللآلئ: ابن أبي جمهور الاحسائي، ١/ ٢٧٩.
(٤١) اقبال الاعمال: ابن طاووس، ٦٦.
(٤٢) خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين: هادي الشيخ طه، ٢٣.
(٤٣) الأربعين وفلسفة المشي الى الحسين عليه السلام: حيدر الصمياني، ١٢٤.
(٤٤) جريدة القبس الكويتية، العدد ليوم ١٥/ ١٢/ ٢٠١٣.
(٥٤) زيارة الأربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ١٢١.

(٤٦) المنجد في اللغة: لويس معلوف، ٣٣٧.

(٤٧) الامام الحسين الشهيد والثورة: هادي المدرسي، ٢٦١.

(٤٨) قصص الأربعين: قاسم الحلفي، ١٥-١٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ١٦.

(٥٠) المصدر نفسه، ١٢٦.

(٥١) المصدر نفسه، ١٢٧.

(٥٢) مجلة الكوفة، بحث بعنوان: (تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث «طقوس زيارة الأربعين»): فرج الخطاب، ١٨٦.

(٥٣) مجلة النبأ، عدد عاشوراء ١٤٣٢هـ في ٢٤/ كانون الثاني، ٢٠١١م.

(٤٥) خطوات المتقين في ثمار زيارة الأربعين: هادي طه، ١٥.

(٥٥) مجلة الكوفة، بحث بعنوان: (تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث «طقوس زيارة الاربعين»): فرج الخطاب، ١٩٢.

(٥٦) يُنظر: زيارة الأربعين دلالات وآفاق: محمد عبد الرضا الساعدي، ١٢٤-١٢٩.

المصادر والمراجع

١. الاخوة الايمانية من منظور الثقلين: محمد باقر الحكيم: انتشارات الامام الحسين عليه السلام للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢. الأربعين وفلسفة المشي للحسين عليه السلام: حيدر الصمياني، وحدة الدراسات التخصصية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، العراق، كربلاء المقدسة.

٣. اقبال الاعمال: ابن طاووس، رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسين الحسيني(ت:٦٦٤هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٤. الإمام الحسين الشهيد والثورة: هادي المدرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م.

٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٦. الخطاب السياسي الثقافي الموجه الى انصار الحسين عليه السلام بمناسبة الذكرى الأربعينية لسنة ١٤٢٦هـ: محمد مهدي الآصفي، (بدون تاريخ ولا طبعة).

٧. بحار الأنوار الجامعة لدر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام: محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٨. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٠م.

٩. تفسير مقتنيات الدرر: السيد مير علي الحائري الطهراني: تح: محمد وحيد الطبسي الحائري، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٠. خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين: هادي الشيخ طه، وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة، مطبعة دار الضياء، النجف الاشرف، ط١، ٢٠١٠م.

١١. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري(ت:٥٠٨هـ)، تح: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، (د.ت) (د.ط).

١٢. زيارة الاربعين دلالات وآفاق، خطوات في التنمية البشرية والتخطيط الاستراتيجي لحقول الزيارة، النشر: باقيات، المطبعة: الوردي، ط٤، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م.

١٣. شروط النهضة: مالك بن نبي، ترجمة: عمر كامل

مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط٣، ١٩٦٩م.
١٤. صحيح البخاري: البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت:٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٥. العمل التطوعي من منظور عالمي، المؤتمر الثاني للتطوع، المشاريع التنموية في المؤسسات الاهلية، الاولويات والتحديات، الشارقة،٢٣-٢٤/ كانون الثاني، ٢٠٠١.
١٦. عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: إبن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي بن ابراهيم،(ت: نحو ٨٨٠هـ)، تح:مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٧. قصص الاربعين: قاسم الحلفي، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الاعلام، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م.
١٨. الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ)، تح: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، مطبعة حيدري، ط٤، ١٣٦٥هـ.
١٩. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم الأفريقي، (ت: ٧١١هـ)، تعليق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٠. المنجد في اللغة والاعلام: لويس معلوف، منشورات دار المشرق، بيروت، ط٣٥، ١٩٩٦م.
٢١. المجلة التربوية الصادرة عن جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، العدد ١١٦، مجلد٢٩ لسنة ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، بحث بعنوان (دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل التطوعي) د. محمد بن عبد الله الحازمي وآخرون.
٢٢. مجلة حولية كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، العدد الثامن، ملحق سنة ٢٠٠٧م، جمهورية مصر العربية، المطبعة العمرانية، الجيزة، بحث بعنوان:(الشباب والعمل التطوعي: د. عالية حبيب عبد العزيز حبيب.
٢٣. مجلة السبط، تصدر عن العتبة الحسينية، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العدد (٤)، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، بحث بعنوان: (المسار التاريخي لزيارة الاربعين، النشأة والتطور): انتصار عبد عون محسن السعدي.
٢٤. مجلة الشعائر، العدد ٤٦، السنة الرابعة، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، تصدر عن المركز الاسلامي في بيروت، مقالة لحسين الكوراني بعنوان: (زيارة الاربعين نبض وحدة الامة والمستضعفين).
٢٥. مجلة العرفان العدد(٢٢)، مطبعة العرفان- صيدا، ١٣٥٠هـ.
٢٦. مجلة الغري، العراق، النجف الاشرف، العدد ١٩، ١٣ ربيع الاول، ١٣٦١ الموافق ٣١ آذار ١٩٤٣م السنة الثالثة.
٢٧. مجلة النبأ، تصدر عن المستقبل للثقافة والاعلام، العراق، بغداد، العدد(٧٠)، السنة العاشرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٨. جريدة القبس الكويتية، تصدر عن الحكومة الكويتية، العدد ليوم ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٣.
٢٩. الموسوعة الحرة(ويكيبيديا):
HYPERL INK “http: // ar.wikipedia.org/ wikiB.•